سيدي محمد

بقلم : جمال مهدي الهنداوي

سلام الله عليك وصلاته ، وعلى آلك وصحبك ، يارسول الانسانية المفدية ، من مسلم مؤمن ، موقن بك ، معتقد برسالتك .

سلام الله عليك : ايها الانسان الكامل ، ياخاتم الانبياء وسيد المرسلين ، يامن لاتلدمثلك انثى ، ولا يحلم العالم ان يجد لك شبيها ايها العبقري الاول ، يامنقذ البشرية من الضلال الى الرشاد ، ويامن جئت برسالة سيظل العالم مهما تقادمت عليه العهود ، ومهما تقدمت به مراقي المدينة ، لا يجد امامه إلا التمجيد بقدسيتها ، والا السجود امام عبقريتك المثلى .

سيدي محمد .

هذا قبس من نورك المشرق ، جئت أعرضه بهذه المناسبة الكريمة ، وهذه حقائق جئت أعلنها باسلوب من لا يعرف الدجل ولا الملق ولا المراوغة ، باسلوب مؤمن موقن ، جاء متألماً لما نحن عليه من حال يشكو اليك « باسلوب من لايخشى اللوم » جئت اشكو اليك لا لغيرك ، وان كانت شكواي مرة تؤلم السامعين ، ولكن ولكن من الجدير بان يشكى اليه ويلتجأ ، غيرك يامحمد . ؟

ياسيدي .

انت المبعوث بمكارم الاخلاق ، وانت المثال في الصدق والامانة ، وانت الحليم الصابر ، وانت القدرة في الزهد والتواضع والعفة ، والشجاعة والكرم والمروءة ، وانت العادل ذو الرحمة والعفو ، فلقد كانت مهمتك الاولى في تأدية رسالتك العفو والرحمة ، وهي المهمة الانسانية الممتازة التي جئت بها الى الناس ، رحيما بهم ، متجاوزاً عن خطيئاتهم قدر مايسمح به المجال ، لطيفاً حسن الاداب ، رقيق الشعور صريحاً جريئاً حازماً ، لاتأخذك في الحق لومة لائم ، تقول الحق ولو أيقنت انه سيؤدي بك : الى الاذى ، ولكن ياسيدي كم منا الان يهمه امر هذه الصفات أو بعضها . ؟ كم منا اولئك الذين يقتدون بك ويهتدون بنورك ؟

نعم ياسيدي . أنت المبعوث بمكارم الاخلاق ، وانت القائل : ماجئت الا لأتمم مكارم الاخلاق . جئت برسالتك تدعو الى الامر بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر ، وانت القائل : « الفحش والتفحش ليسا من الاسلام » . جئت برسالتك ، مثالا في الحكمة السياسية والقيادة العسكرية والمقدرة الادارية ، حيث أول ماكنت توصي به الولاة عند ارسالهم الى أماكن عملهم ، اياكم ، اياكم والرشوة ، فلقد كنت تلعن الراشي والمرتشي ، على ان هؤلاء الولاة كانوا ممن تختارهم انت دون غيرك ياسيدي . ولقد جئت تحض على طلب العلم من أي وعاء ، واحترام المرأة ، وانصافها وتهذيبها لان المرأة الصالحة ، وهي التي تخرج للامة الجيل الصالح .

جئت برسالة ، كلها نظام سياسي واجتماعي واقتصادي وحقوقي ممتاز ، فالعدل والمساواة ، هما من بعض ماناديت به في رسالتك السامية ، والاخوة والمحبة هما الاصل في بنائها تحث على الشورى ، ومناصرة الضعيف ، واحترام الوالدين والكبير ، أي « تقدير قيمة العائلة » باعتبارها الخلية الاساسية في بناء المجتمع . جئت تضع المنهج الواضح في كيفية الحكم بالدعوة الى الشورى ، اي نبذ الحكم الظالم المستبد ، جئت تدعو الى حفظ حقوق الذميين : جئت وتوفقت . ولكن ياسيدي . هل من عودة لترى . ؟ هل من عودة لترى حال المسلمين ، وبعض ماهم عليه ، بعدان تجول في عرض البلاد وطولها . لترى مدى العمل برسالتك ، وما اكثر ماسترى ملاهي ، مباغي ، دور ميسر وحانات . وكان هذا وغيره الكثير الكثير ، هو صدى تلك الرسالة السامية ، ولكننا مع ذلك ندعي وننعت اسماً ورسماً ، باننا مسلمون .

سيدي محمد .

أعترف لك واشهد بكل صراحة ، بأننا غير اولئك المسلمين المسلمين . فان اكثرنا ، منافقون ، دجالون مراؤون ، نفعيون مرابون ، خداعون ، كذابون ، مرتشون ، بعيدون كل البعد عن كل ماجئت به وناديت ، ولكننا مع ذلك ودون

ان نخجل منك ندعي باننا مسلمون .

سيدي محمد .

آننا غير اولئك المسلمين في ايامك وايام خلفائك ، فلا تجد بيننا واضحاً ، الا التأخر والتنافر ، والتجسس والتحسس والغيبة والنميمة ، وان كنت انت القائل قبل مئات مئات من السنين : « اياكم والظن ، فان الظن اكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تحاسدوا ، ولا تداروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله اخوانا » . ولكننا مع كل هذا ندعي باننا مسلمون .

واننا ياسيدي غير اولئك المسلمين الذين كان أحدهم يتألم لالم أخيه ، وهو له كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، يئن لانينه ويفرح بفرحه وسروره ، لا ينام الا بعد ان يعرف حالة جاره ، يساعد الضعيف من اخوانه ، قدر قابليته وامكانه ، وفق حساب ، على انك جعلت في الزكاة والصدقة لنا ، تلك الوسيلة لتحقيق هذه الفكرة ، ليصبح الكل في وضع مترفه ، وضع ميسر ، لا يجد العسر اليه سبيلا . افلم تكن انت القائل في حديث :

« على كل مسلم صدقة قالوا : فان لم يجد قال فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا : فان لم يستطع قال فيعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فان لم يفعل قال فيأمر بالخير ، قالوا : فان لم يفعل قال فيمسك عن الشر فان له صدقة » وفي حديث : [الجالب الى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله ، والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله] ذلك لتصبح البضاعة أو الحاجة في متناول يد الجميع ، بالسعر المناسب والربح المعقول ليكون ذلك سبباً في تعميم الخير والرفاه . ولكننا ياسيدي ، ابتعدنا عن الجوهر ، وتمسكنا بالقشور من الامور ، وظللنا ندور وندور ، حول دوائر لا نعرف عن حقائقها شيئاً الا التهريج ، لا يتعادنا عن حقيقة رسالتك ظناً منا باننا سنكون سعداء . ولكننا مع كل ذلك ندعي باننا مسلمون .

سيدي محمد .

نحن مسلمون . نعم . ولكن كم منا لو سئل : لماذا انت مسلم . ؟ وما معنى الاسلام . ؟ وما هي أركان الاسلام . ؟ وما هي الحقيقة التي جاء بها الاسلام . ؟ اقول يا سيدي ، كم منا لو سئل ، يمكنه ان يجيب الاجوبة الشافية الكافية عن هذه الاستفسارات . ؟ وكم منا متمسك بما يقتضيه الاسلام بأموره كمنا . ؟ ولكن مع كل ذلك فاننا ندعي باننا مسلمون

فلقد تغيرت اخلاقنا غير السابق ، وعدنا عكس الماضي الذي لم نملك شيئاً بالنسبة اليه الا الكلام ، والا التبجح في الكلام ، اللهم يارب انها حال تدعوك الى الرأفة بنا والاشفاق علينا ، لانها حال مصداق لقول القائل :

واذا اراد الله رقدة امة . حتى تضيع اضاعتها أخلاقها

واني ياسيدي لواثق كل الوثوق من أن اخواننا المسلمين عامة بانك لو عدت الان ، لما وجدت منهم الا أضعافا مضاعفة مما لاقيته من أهل مكة في بداية رسالتك المقدسة

وما كارثة فلسطين الدامية الا دليل وشاهد على كل ما اقول .

سيدي محمد .

هذه شكرى قصيرة مما نحن عليه ، جئت اشكوها اليك بهذه المناسبة لعلنا ننتبه ، ونبتعد عن القشور فنصلح من أمرنا ، مقتدين بك أيها الهادي الاعظم ، ليحق لنا ان نقول باننا مسلمون داعيا الله تعالى ان يهدينا من عنده ، وينزل علينا من رحمته ، ويرشدنا الى الصراط السوي ، انه السميع المجيب .

جمال مهدي الهنداوي

دعاء ... !

دعوتك يا ليل حلم الغد ... وفجر السعادة والمقصد
الي . الي فقد أظلمت ... عوالم عالمي الاوحد
وبت اضاجع ظل الشقاء ... وابكي على حبي الانكد
فهلا اعدت إلي الصواب ... صواب فتى عاشقه موجد
ونورت وجه شبابي الحزين ... واطفئت في لظى الموقد
لأنت ابتسامات ثغر الزمان ... ولون من الحب لم يعهد
وصباك حسن ونغم بديع ... وكأس تألق كالمرقد
فديتك خلي البعاد البغيض ... وعودي الى عهدك الاغيد
تعالي نجدد رواء الحياة ... ونسعى الى العالم الاسعد

عبد الكريم كمال الدين